

أرض للبيع ... مشهور عبدالعزيز الصحفي



غبت عن المنطقة لفترة طويلة بحكم عملي ، عدت اليوم إليها وإذ بالسماء تمطر ، وطريق عودتي بالورود يزخر ..

فأردت أن أطمئن على حدودها ، فهي كعبة حيني وابتسامه طفولتي ، فبادرت لأحضر وردها ولكنه للأسف خان عهدا ، أدركت ذلك عندما منعت من العامل ، بقوله لي هذه أملاك خاصة ، وهم بوضع تلك السلسلة الرصينة مما قيد لساني عن الاعتذار للورد حينها ..

انتابني الشك ألم تكن تلك أرض قريبي ! يبدو أنني تهت .

أوجست خيفة وأسرت لأرض بجوارها بنبضات قلب متناقل ، مردداً إلا هذه الأرض فما زالت شقاوة طفولتي عالقة بين أغصانها ، وابتساماتي هي بذور (حيجانها) ، ولكنني اصطدمت بشبك عالي يردفه سور بيزنطي يصعب اجتياحه ..

أما شجرة الطفولة فلقد علت أغصانها ذلك السور ، وكأني بها خاضعة ذليلة لذلك المستوطن ، أعلننا الفراق وودعت طفولتي بلا عناق ، قدمت فرحاً مستبشراً ، ومضيت رجلاً بلا ماضٍ أروي شغف الحنين من أين ذلك الغصن .

للأسف استوطنت كل الأراضي ومن باع بالكسب فرح راضي ، والمحافظين على الإرث يلومون الريح التي اجتاحتهم ، يقال (لا لوم على الريح إن كان الأحباب ورق) .

ماذا لو أراد المستوطنون تحويلها شرعاً إلى مزرعة دواجن ، إلى محميات ، أو وكراً لممارساتهم بعيداً عن أعين الرقيب ، فليس بإمكاننا ردعهم تبعاً لأهواءنا ، لأنه ملكهم المضمون ونحن على نصرة الحق مجبولون .

هنا فقط ستصبح أمالنا في الخلاص منهم مجرد جمهور .

يا للأسى ! أصبحنا نعيش في قفص استوطن سياجه أطرافنا واغتالت فذارته أعماقنا .

يقول جبران خليل (العصفور لا يبني عشا في القفص ، حتى لا يورث ابنه العبودية) .

نقر بأننا أخطأنا في التفريط ببعض من ماضي (الجديات) ، لم يكن تفكيرنا حراً بما فيه الكفاية للتنبؤ بمستقبلنا ، مع هذا سنحمل خطأنا ولن نعارض من استملكوا فهذا حقهم .

يقول سورين (الناس يطالبون بحرية التعبير كتعويض عن حرية الفكر التي نادرا ما تستخدم) .

الآن أجزم بأننا تعلمنا من أخطائنا ، فلقد التقت حرية الفكر والتعبير سوياً ، صحيح أننا سمحنا لذلك المستوطن أن يتغلغل في أعماقنا ، لكن كما ذكرت سابقاً نحن قوم جبلنا على قول الحق ، لذلك لم ولن نسمح (جميعاً) له أن يحيطنا بمستنقعاته التي رحبت جردانه كثيراً ببيان (البعض) الصادر عن نقيض ضفادعها .

يعلم (البعض) أعني جميعاً بأن زهر ذلك المستنقع تنن بأئس لا عوض فيه ولا عائض له ..

يقال في اللغة " العائض " : الخلف والبدل ، لكني سأصدر بياناً أنكر فيه (بعض) ما جاء في المعجم .

وأن ذلك الزهر استفحل على ذلك الورق الهش ، وبدت (بعض) الأوراق خانعة له .

وهيئات هيئات : لشجرة المستنقع المعمرة ، في الثانية الواحدة تظهر جوانبها شتى أنواع الفصول ، ولكن لجذورها فصل خامس " عمر " عشرات السنين ، جذور تترنح طرباً لقول ابن عبده : (فصل خامس ضايع بين الفصول الأربعة) .

ويقال في اللغة " عمر " : من الفعل عمر يعمر تعميماً ، فهو معمر والمفعول معمر ، ولكني هنا سأوافق علماء اللغة ، لأن الشجرة بالفعل عمرت عقولنا بظل زائل ، واستمالت مشاعرنا بفحيح صوتها الحسيني المائل .

يا ساكن القفص يا عمدة القفص الأجل ، تغريداتك تزيدنا إصرار ، ولكن بحكم مكانتك أوصل هذه الحروف وغيرها للمسئول باختصار ، لو دارت الرجا ، لن يسلم أحد من أهل الدار .

يقول ابن القيم : (إن العبد ليصعب عليه معرفة نيته في عمله ، فكيف له أن يتسلط على نيات الخلق) .

أما أنا أتمنى أن تسيئوا فهمي ، وأن تتسلطوا على نيتي .

بما أننا عرضنا الأرض للبيع ، فلنعتذر من تلك الوردة ولنزعزع تلك القضبان، ونطبع ذلك الوسم في ناصية كل حاقد ، ولنردد سوياً :

يا وردة أعذرينا ، وبالموت ارجميننا !!
يا وردة ، أولا تعرفينا ؟!
يا أرض أخبريها ، وبقايا الأجداد انبشيها،
لا تتلعثمي ، ولقول الحق ردي :
يا مستنقع الأحقاد ، جهزوا الأصفاد ،
فسلمان الحزم ساد ، وينصره عزمنا زاد
يا وردة أتحفينا !!
وفي التاسعة سامرينا ..

مشهور عبدالعزيز الصحفي